



Al Arabi Al Azzam

لاشك أنّ الاستراتيجية الجديدة للدول الغربية الكبرى في منطقة الشرق الأوسط هي إثارة الصراع الطائفي السنّي الشيعي لفترة قادمة قد تطول لسنوات طويلة من خلال التركيز على الميليشيات والمنظمات العقائدية المسلحة وتغذيتها بالأموال والأسلحة وتهيئتها لقيادة زمام الأمور بدلاً عن الجيوش النظامية، بمعنى آخر أن هذه الدول الغربية تحاول جاهدة تكرис الثقافة الطائفية الميليشياوية الضيقة في المجتمعات بدلاً عن الثقافة الوطنية والتركيز على هويات ثانوية والانكفاء على زوابا صغيرة بحسب عبارة مستشار الأمن الوطني السابق "موفق الربيعي" الذي صرّح لصحيفة نيويورك تايمز من "أن الهويات الثانوية - الثقافية والدينية والإثنية - هي السائدة ونحن جميعاً انكفلنا إلى زوابانا الصغيرة". وأضاف "نحن منذ العقد الماضي نبحث عن هوية جديدة".

وهذه الهوية الجديدة التي كان يبحث عنها "الربيعي" وجدّها عقب الحرب الطائفية المدمرة التي خاضها السنة والشيعة في العراق عامي 2006 و2007 والتي راح ضحيتها مئات الآلاف من الطرفين، وكذلك بعد اندلاع الثورة السورية عام 2011 وهي الهوية "الطائفية"، ففي كلتا الحالتين انكفاء المتصارعون إلى الطائفة واحتلما بها ودخلوا في أحلاف "إقليمية" قائمة على هذا الأساس..

هكذا فعل رئيس الوزراء العراقي السابق "نوري المالكي" عندما اخترل الوطن في الطائفة وفي حزبه بالذات وهكذا فعل "بشار الأسد" عندما احتمّي بالميليشيات الشيعية الإيرانية والمعارضة للمحافظة على كيانه القمعي، ولم تكن فتوى المرجع الشيعي "علي السيستاني" بتشكيل ميليشيا الحشد الشعبي الشيعي (يوليو 2014) لمواجهة ميليشيا الدولة الإسلامية "داعش" إلا إيداعاً بدخول المنطقة رسمياً في صراع طائفي طويل قد يستغرق، كما قلنا عقود من الزمن، وتتعرض فيه المنطقة لويلات وماسي طويلة لا تقل عن المأساة التي شهدتها الحرب الطويلة الدامية، بين الطائفتين المسيحيتين "الكاثوليك والبروتستانت" عامي 1648 و1618 والتي سميت بـ"حرب الثلاثين عاماً" والتي ذهب ضحيتها الملايين من الطرفين..

الكثير من السياسيين والمثقفين والمراقبين لشؤون المنطقة غاب عنهم حقيقة أنّ المنطقة مهيّة لمثل هكذا صراع طويل، وأهم دولها المرشحة لقيادة هذا الصراع وتحمل نتائجه الوخيمة هي سوريا والعراق، فظنوا أنّ الوضع في سوريا بالذات لا

يختلف عن الوضع في باقي دول الربيع العربي، وتوقعوا سقوط النظام فيها في أي لحظة بمجرد اندلاع المظاهرات الشعبية فيها إسوة بليبيا ومصر وتونس ولكنهم كانوا خاطئين جداً، لأنّ سوريا تختلف كلياً عن تلك الدول لأنّها مدرومة من قبل منظومتين قويتين؛ منظومة طائفية تشرف عليها إيران وأخرى دولية بقيادة روسيا، إضافة إلى موقعها الاستراتيجي في المنطقة ومصالح إسرائيل الكبيرة فيبقاء الأسد في سدة الحكم مهما كان الثمن، صحيح أنّ هذا النظام الأرعن سيسقط لا محال ويرمى في مذلة التاريخ في النهاية، ولكن يحتاج إلى وقت أطول وجهد أكبر وتضامن دولي أكثر، وبدون هذه التحضيرات فلن يكون معنى للإرهادات والتوقعات التي أطلقها بعض السياسيين والكتاب والمؤسسات البحثية بتحديد فترة زمنية محددة لسقوط النظام السوري قياساً بالأنظمة السياسية لدول الربيع العربي، سواء بحسن نية أو بغيرها، فالمتضرر من هذه التوقعات اللامسؤولة دائماً كان الشعب السوري، ورغم مرور أكثر من أربع سنوات على الثورة المباركة وسقوط أكثر من 250 ألف إنسان بريء، فما زلنا نرى تلك النظرة التبسيطية للصراع القائم في سوريا تظهر هنا وهناك من خلال التصريحات وغير وسائل الإعلام والتي تؤكد أنّ "النظام السوري يلطف أنفاسه الأخيرة"، وأنّه يتآكل داخلياً ويتهاوى ويعيش أيامه الأخيرة وبعدهم اعتبر استعاناً النظام بالعصابات الطائفية في العراق وإيران ولبنان دليل على عجزه وتهاويه والعجيب أنّ أحد قادة الجيش الحر توقع قبل سنتين أنّ النظام سيسقط خلال أربعة أشهر على أقصى تقدير!!.. مهما كانت الدوافع من تلك التصريحات والإرهادات فإن الدقة مطلوبة دائماً..

أوريونت نت

المصادر: